سلسلة: ورقات في تقييد الخواطر والمقالات

الرسالة الأولى

تكلموا فيَّ

نصائح وتوجيهات

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

١٤٤٥ - ٢٠٢٤م

النشرة الثالثة

(مزيدة ومنقحة)

تم الصف والإخراج بإشراف

دار الصابرين للتنسيق والمراجعة

a44443332@gmail.com

اليمن - الحديدة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ به من شُرورِ أنفسنا، ومن سَيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لَا إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

هذه ورقات، في تقييد بعض الفوائد، وتحرير بعض المسائل، مما جرى به الخاطر، فإنه تمر بي بعض الموضوعات، والإفادات، وربما جرى تحريرها، أو التذاكر فيها مع بعض الأفاضل، فأحببت أن تكون هذه الورقات سببا في حفظ هذه الخواطر، وإظهار ما بها من الفوائد النواضر، راجيا أن تنفعني في الدارين ولعل ناظرا فيها ينتفع بكلمة منها، ويجري أجرها لي وله.

وهذه هي الرسالة الأولى، وعنونتها بـ (**تكلموا فيَّ**)

والله هو الموفق والهادي.

وكتبه أبو حمزة غازي بن سالم صالح أفلح

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

٢٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا شك أن الإنسان بطبعه يحب الذكر الحسن والثناء الجميل، ويحزن إذا تكلم الناس فيه، وذكروه بأمر سوء، ويتأسف كثيرا ويشكو شانئيه لمحبيه قائلا: (تكلموا فيَّ) بباطل ولست كذلك.

ويزداد الألم حين يكون الظالم لك من ذوي القربى أو ممن تحبهم.

وقد قال طرفة بن العبد-وقيل لغيره-:

وظُلمُ ذوي القُرْبى أشَدُّ مَضَاضَـةً   على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهنّدِ

وقال الشريف الرّضيّ:

ولِلـذُّلِّ بـين الأقـربينَ مَضاضـةٌ   والـذُّلُّ مـا بـينَ الأباعـدِ أرْوَحُ
وإذا أتَتْـكَ مِـن الرجـالِ قَـوَارِصٌ   فسِهامُ ذِي القُربـى القريبةِ أجْـرَحُ

وهذا التوجع لا يكاد يسلم منه أحد من الناس، -بل لم يسلم رب العالمين الغني القهار من افتراءات بعض البشر-.

وإذا تكلم فيك الناس بما تكره: فإما أن يكون حقا: فعليك قبول

النصيحة -كما سيأتي-، حتى لو كان أداؤهم لها على وجه لا ينبغي.

وإما أن يكون بالباطل والبهتان: وحينئذ قد تحتاج للبيان والإيضاح كما في قول النبي ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» متفق عليه. وقد يكون الإعراض عن هذا القيل، هو السلامة لك في دينك ودنياك.

ولأجل هذا كتبت -بعد تأمل- هذه السطور والكلمات، والنصائح والتوجيهات، مما جال في خاطري ما أظنه تسلية وتذكرة لكل من ابتلي بحاسد أو ظالم، فالله أسأل أن ينفع بها.

൭◈൫

خطر البهتان والكلام في الناس بغير حق

لا بد أن نعلم أولا: أن الكلام في الناس بغير حق من البهتان العظيم الذي لا يرضاه الله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ ﴾ [الأحزاب].

[١] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» رواه مسلم(١)

وبهذا خطب النبي ﷺ الناسَ يوم عرفة وبين لهم حرمة الدماء والأعراض،

[٢] فَقَالَ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا، وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا، وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، قَالَ: قُلْنَا: اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَلَيْسَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَالْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَالْيَوْمَ الْحَرَامَ؟**»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «**أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا مِنْ شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»(١)

ثم خطب الناسَ يوم النحر فأعاد عليهم مقالته هذه:

[٣] فقَالَ ﷺ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، قال أبو بكرة ﵁: فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» متفق عليه(٢)

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠٣٣٦)، وأبو بكر الروياني (١٥٠٧) في مسنديهما، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١١/ ١٣) واللفظ لهما، عن العداء بن خالد ﵁. وفي الباب حديث جابر ﵁. رواه مسلم (١٢١٨) وليس فيه موضع الشاهد «وَأَعْرَاضَكُمْ».

(٢) رواه البخاري في مواضع أولها (٦٧) ومسلم (١٦٧٩). وهو حديث متواتر رواه جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس﵄ رواه البخاري (١٧٣٩)، وعبد الله بن عمر﵄ رواه البخاري (١٧٤٢) ومسلم مختصرا (٦٦) وعمرو بن الأحوص ﵁ رواه الترمذي (٢١٥٩) وابن ماجه (٣٠٥٥) وأبي سعيد الخدري ﵁ رواه ابن ماجه (٣٩٣١) والحارث بن عمرو السهمي ﵁ رواه أحمد (١٥٩٧٢) وأبي الغادية الجهني ﵁ رواه أحمد (١٦٦٩٩) ونُبَيْطُ بْنُ شَرِيطٍ ﵁ رواه أحمد (١٨٧٢٢) وحذيم بن عمرو السعدي ﵁ رواه أحمد (١٨٩٦٦). وعم أبي حرة الرقاشي ﵁ رواه أحمد (٢٠٦٩٥) ورجل من أصحاب النبي ﷺ -غير مسمى- ﵁ رواه أحمد (٢٣٤٩٧) وعمار بن ياسر﵄ رواه أبو يعلى (١٦٢٢) ووابصة بن معبد ﵁ رواه أبو يعلى (١٥٨٩) وعبد الله

=

ثم خطب الناس في أوسط أيام التشريق فأعاد عليهم مقالته هذه تأكيدا على حرمة الدماء والأعراض.

[٤] كما في المسند عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:...«**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ...**» – قَالَ:– وَلَا أَدْرِي قَالَ: «**أَوْ أَعْرَاضَكُمْ**»، أَمْ لَا– «**كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»(١)

فهذا بيانه ﷺ للناس مؤكدًا مبينًا قَبْلَ أن يقبضه الله جل وَعلَا إِلَى جَنَّتِهِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ.

[٥] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**» رواه أبو داود(٢)

=
بن الزبير رضي الله عنهما رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١١٣٣) والسرى بنت نبهان رضي الله عنها رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (١٢٧٥) وأنس بن مالك رضي الله عنه رواه الضياء المقدسي في المختارة (٢٦٨٤).

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩).

(٢) سنن أبي داود (٤٨٧٦) (**أَرْبَى الرِّبَا**) أَيْ أَكْثَرُهُ وَبَالًا وَأَشَدُّهُ تَحْرِيمًا (**الِاسْتِطَالَةَ**) أَيْ إِطَالَةَ اللِّسَانِ (**فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**) باحْتِقَارِهِ وَالتَّرَفُّعِ عَلَيْهِ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِ قال
=

[٦] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ» رواه الحاكم(١)

[٧] وعَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: جَلَسْنَا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما فَخَرَجَ إِلَيْنَا

=

العلماء: وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا أَشَدَّهَا تَحْرِيمًا لِأَنَّ الْعِرْضَ أَعَزُّ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَالِ، ولذا قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أَصُونُ عِرْضي بمالي لا أُدَنِّسُهُ ... لا باركَ اللهُ بعد العِرْضِ في المالِ

أحتالُ للمالِ إن أَوْدَى فأَجْمعه ... ولستُ للعِرْضِ إن أَوْدَى بمحتالِ

(١) المستدرك على الصحيحين (٢٢٥٩) رواه من طريق عمرو بن علي الفلاس، ثنا ابن أبي عدي، ثنا شعبة، عن زبيد، عن إبراهيم، عن مسروق، عن عبد الله به، وصححه على شرط الشيخين. ورجاله ثقات لكنه معل. فقد رواه عنه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٣١) وقال: هذا إسناد صحيح، والمتن منكر بهذا الإسناد، ولا أعلمه إلا وهما وكأنه دخل لبعض رواة الإسناد في إسناده. ا.هـ ورواه البزار في مسنده (١٩٣٥) عن الفلاس به وقال: لم نسمع أحدا أسنده بهذا الإسناد إلا عمرو بن علي ا.هـ والصحيح في الحديث الوقف، فقد رواه الخلال في السنة (١٤٩٥) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: ثنا شُعْبَةُ، عَنْ زُبَيْدٍ، به موقوفا بلفظ: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ» وكذلك رواه الثوري عن زبيد. رواه عبد الرزاق في المصنف (١٥٣٤٧) وغيره. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٠١٢) قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: «الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ» ورواه المروزي في السنة (١٩٨) عن أبي الضحى عن مسروق به كذلك.

فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ [أَمْرَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَلَا بِالدِّرْهَمِ، وَلَكِنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ] وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» رواه أبو داود وأحمد(١)

وردغة الخبال هي عصارة أهل النار -نسأل الله العفو والعافية-، وخروجه مما قال: أن يتوب عنه ويستحل من المقول فيه.

---

(١) سنن أبي داود (٣٥٩٧) ورواه أحمد (٥٣٨٥) ومنه الزيادة والحاكم وصححه، لكن وقع عنده تسمية الصحابي (عبد الله بن عمرو) «وهو خطأ، ولعله من النساخ» قاله الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٥٣). والحديث إسناده حسن.

هذه هي الدنيا

لا ينبغي للعاقل أن يتوقع في هذه الدنيا حصول الكمالات وذهاب المنغصات، والخلو من المكدرات ، حتى لو كان فيها برا نصوحا

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النجم]

أي: ليس كل من تمنى خيرا حصل له بل أماني الإنسان بيد الله يعطي بعضها ويمنع بعضها لحكم عظيمة.

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد]

[٨] قال سعيد بن جبير: في شدة وطلب معيشة.

[٩] وقال عكرمة: في شدة وطول.

[١٠] وقال قتادة: في مشقة.

[١١] وروي من طريق أبي مودود: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ قال: يكابد أمرا من أمر الدنيا، وأمرا من أمر الآخرة -وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة.

فوطن نفسك في هذه الدنيا بمعرفة حقيقتها وحالها، ولا تكن متفاجئا من تغيراتها وغِيَرِها.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله:

فالدنيا وضعت للبلاء. فينبغي للعاقل أن يوطن نفسه على الصبر، وأن يعلم أن ما حصل من المراد، فلطف، وما لم يحصل، فعلى أصل الخَلْقِ والجِبِلَّة للدنيا، كما قيل:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ الأَقْذَاءِ وَالأَكْدَارِ

وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ(١)

ومن جميل شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه(٢):

وَإِنَّ امْرأً يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ(٣)

وقد وصفه بعضهم بأنه أحكم بيت قالته العرب(٤).

وذكر أن حسانا رضي الله عنه كان يقول: «قلت شعرا لم أقل مثله ثم أنشده»(٥)

وروي أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، كَانَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أُصْبِحُ فِيهِ لَا يَرْمِينِي**

---

(١) صيد الخاطر (ص٧٢٧/ ط عوض الله). والأبيات لأبي الحسن علي بن محمد التهامي (ت: ٤١٦هـ)

(٢) وينسب أيضا لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وفي «المستدرك على الصحيحين» (٦٠٥٧) أن سعيدا ذكره عن جده حسان رضي الله عنه.

(٣) ينظر: «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (ص١٠١) و«الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (٣/ ١٠٢٨) و«المستدرك على الصحيحين» (٦٠٥٧)

(٤) ينظر: «العقد الفريد» (٦/ ١٢٢)

(٥) ينظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٢٩٨) و«عيون الأخبار» (٢/ ١٦) كلاهما لابن قتيبة.

النَّاسُ فِيهِ بِدَاهِيَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا لِلَّهِ عَلَيَّ نِعْمَةً»[(١)]

وقال ابن قتيبة رحمه الله: بلغني عن ابن عيينة قال: قال مسعر: ما نصحت أحدا قطّ إلّا وجدته يفتّش عن عيوبي.[(٢)]

وهذا من عجيب أمر هذه الدار، فلا تتوقع من المنصوحين إذا بينت لهم، ومن الناس إذا وعظتهم، وأخلصت النصح لهم، أن يقابلوك بالشكر والإحسان إلا من شاء الله.

ويذكر عن سيد التابعين أويس القَرَني رحمه الله أنه قال: **وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقًا، نأمر بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعوانًا، حتى والله لقد قذفوني بالعظائم، وأيم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه**[(٣)].

---

(١) ينظر: «مداراة الناس لابن أبي الدنيا» (ص١٠١)

(٢) ينظر: «عيون الأخبار» (٢/ ١٦)

(٣) ينظر: «تفسير التستري» (ص٢٠٥) و«تاريخ دمشق لابن عساكر» (٩/ ٤٣٧)

وما أبرئ نفسي

ولا ينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بنفسه ويبرئَها من النقص والخطأ، بل يتذكر دوما قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى].

[١٢] وقد قالَ الْحَسَنُ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: اشْتكَى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَارٌ لَهُ فَاسْتَبْطَأَهُ فِي الْعِيَادَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّ بَعْضَ مَا يَمْنَعُنِي عَنْ عِيَادَتِكَ مَا أَرَى بِكَ مِنَ الْجَهْدِ، قَالَ: " **فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَى اللهِ وَلَا تَبْتَئِسْ لِي بِمَا تَرَى، أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ مَا تَرَى مُجَازَاةً بِذُنُوبٍ قَدْ مَضَتْ وَأَنَا أَرْجُو عَفْوَ اللهِ عَلَى مَا بَقِيَ فَإِنَّهُ قَالَ:** ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى]» (١)

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله (٦١) وفي المرض والكفارات (٢٤٩) – ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٩٣٥٦) –، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٠٤) رقم (١٩٣و٢٠٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٣٠٠) بنحوه، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٦٦٥) وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥٠٠) وقوام السنة في الترغيب والترهيب

=

فتأمل في حال عمران بن حصين وهو الصحابي المبارك الذي كانت الملائكة تسلم عليه(١)، ومع هذا فإنه كان يغمط نفسه ويعظها بهذه الآية.

فما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم أو أموالهم أو أولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

قال الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية رحمه الله:

حسن الظّنّ بالنّفس يمنع من كمال التّفتيش ويُلبِّس عليه، فيرى

---

(٥٨٢) وإسناده صحيح. لكن الحسن لا يصح له سماع من عمران كما قال ابن معين وأبو حاتم وغيرهما. لكن الأثر ثابت فقد جاء نحوه من طريق جرير بن حازم قال سمعت حميد بن هلال يُحَدِّثُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفٌ، قَالَ: أَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَدَعُ إِتْيَانَكَ لِمَا أَرَاكَ فِيهِ وَلِمَا أَرَاكَ تَلْقَى قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ فَوَاللهِ إِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَى اللهِ» قَالَ جَرِيرٌ: وَكَانَ سَقَى بَطْنُهُ فَمَكَثَ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى سَرِيرٍ مَثْقُوبٍ» رواه بن أبي الدنيا في الرضا عن الله (٦٠) وابن المبارك في «الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي» (٤٦١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى ط دار صادر» (٤/ ٢٩٠) وأحمد في الزهد (٨٠٤). تنبيه: في «المعجم الكبير للطبراني» (١٨/ ١٠٧/ ٢٠٥): «عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ فِي وَجَعِهِ الشَّدِيدِ الَّذِي أَصَابَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ...إلخ» وهذا تحريف وصوابه: دخلنا على عمران. كما في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣٨٠٢) وقوله دخلنا على عمران. في إسناده المبارك بن فضالة وهو مدلس.

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٢٢٦)

المساوئَ محاسنَ، والعيوبَ كمالًا، فإنَّ المحبَّ يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك.

فعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   كما أنَّ عينَ السُّخط تُبدي المَساويا

ولا يسيءُ الظّنَّ بنفسه إلّا مَن عرفها. ومَن أحسن ظنَّه بها فهو من أجهل النّاس بنفسه ا.هـ(١)

واعلم أن الله تعالى هو القادر على أن يكفيك شر كل ظالم، ويصرف عنك عداوته.

فإذا ابتليت بمن يعتدي ويتطاول عليك، فأقبل على الله تعالى مستغفرا، وقل لعل الله تعالى ابتلاني بهذا لذنوبي وتقصيري في جنب الله. ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ذم الهوى»:

وَاعْلَمْ -وَفَّقَكَ اللهُ- أَنَّ الْمَعَاصِيَ قَبِيحَةُ الْعَوَاقِبِ سَيِّئَةُ الْمُنْتَهَى وَهِيَ وَإِنْ سَرَّ عَاجِلُهَا ضَرَّ آجِلُهَا وَلَرُبَّمَا تَعَجَّلَ ضَرُّهَا فَمَنْ أَرَادَ طِيبَ عَيْشِهِ فَلْيَلْزَمِ التَّقْوَى ... فَمَتَى رَأَيْتَ -وَفَّقَكَ اللهُ- تَكْدِيرًا فِي حَالٍ فَتَذَكَّرْ ذَنْبًا قَدْ وَقَعَ فَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِنِّي لأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٢٦٣ ط عطاءات العلم)

دَابَّتِي وَجَارِيَتِي(١).

[١٣] وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رحمه الله:

مَنْ صَفَى صُفِيَ لَهُ وَمَنْ كَدَرَ كُدِرَ عَلَيْهِ؛ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي ليله كوفيء فِي نَهَارِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَاره كوفيء فِي لَيْلِهِ(٢) ا.هـ

واعلم رحمك الله أن العقوبة في الدنيا بهذا تذهب عنك عقوبة الآخرة،

[١٤] كما في جامع الترمذي وسنن ابن ماجه -واللفظ له- عَنْ عَلِيٍّ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٩): ولفظه: «**أَصْلَحُ مَا أَكُونُ أَفْقَرُ مَا أَكُونُ وَإِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ حِمَارِي وَخَادِمِي**»

(٢) رواه عبد الجبار الخولاني في «تاريخ داريا» (ص١١٧): بلفظ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَارِهِ كُوفِئَ فِي لَيْلِهِ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِي لَيْلِهِ كُوفِئَ فِي نَهَارِهِ». ورواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص٧٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٥) -ومن طريق السلمي: البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٢٧) والقشيري في «الرسالة القشيرية» (١/ ٦١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٣٥)-؛ ولفظه: «**من أحسن فِي نَهَاره كُوفِي فِي ليله وَمن أحسن فِي ليله كُوفِي فِي نَهَاره وَمن صدق فِي ترك شَهْوَة ذهب الله بهَا من قلبه وَالله أكْرم من أَن يعذب قلبا بِشَهْوَة تركت لَهُ**» وقوله في أوله: «مَنْ صَفَى صُفِيَ لَهُ وَمَنْ كَدَرَ كُدِرَ عَلَيْهِ» مأثور من قول مطرف بن الشخير، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٩٥) عنه قَالَ: «مَنْ صَفَّى صُفِّي لَهُ وَمَنْ خَلَطَ خُلِطَ لَهُ». وعن مالك بن دينار. رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥١٣) ولفظه: " مَنْ خَلَّطَ خُلِّطَ لَهُ ، وَمَنْ صَفَّى صُفِّيَ لَهُ ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ صَفَّيْتُمْ لَيُصَفَّيَنَّ لَكُمْ». ومن قول ذي النون المصري رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٨٠) ولفظه: قَالَ: «مَنْ وَثِقَ بِالْمَقَادِيرِ اسْتَرَاحَ، وَمَنْ صَحَّحَ اسْتَرَاحَ، وَمَنْ تَقَرَّبَ قُرِّبَ، وَمَنْ صَفَى صُفِيَ لَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ وُفِّقَ، وَمَنْ تَكَلَّفَ مَا لَا يَعْنِيهِ ضَيَّعَ مَا يَعْنِيهِ»

رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ»(١)

---

(١) الحديث حسنه الترمذي وقال: حسن غريب. وذكره شيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (١٨٥٦) وأعله الألباني بأن في سنده أبا إسحاق السبيعي وهو مدلس مختلط. كما في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٩/ ٣٧). والصواب أن الحديث حسن.

اعتبار ثناء الناس
بعضهم على بعض في الخير أو الشر

وقد ورد في السنة ما يدل على اعتبار ثناء الناس بعضهم على بعض في الخير والشر، فالناس شهداء الله في أرضه. ومن يكن مظهرا للخير أو الشر، أومشهوراً بأحدهما، ذكره الناس بما فيه.

فإذا تتابع الناس على نقدك، وإظهار السخط على فعلك، فلا تعتد برأيك، بل راجع نفسك، ولا تكن معتدا برأيك دون غيرك.

[١٥] وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدىً لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»

[١٦] وفي رواية للبخاري وابن ماجه وأحمد ... فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

قُلْتَ لِهَذَا وَجَبَتْ، وَلِهَذَا وَجَبَتْ، قَالَ: «**شَهَادَةُ الْقَوْمِ، [و] الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»

[١٧] ورواه الحاكم عن حَرْبِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَمُرَّ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» قَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ (١) كَانَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَيَسْعَى فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**» وَمُرَّ بِجِنَازَةٍ أُخْرَى، قَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ كَانَ يُبْغِضُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَيَسْعَى فِيهَا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**» . فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَوْلُكَ فِي الْجِنَازَةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا أُثْنِيَ عَلَى الْأَوَّلِ خَيْرٌ، وَعَلَى الْآخَرِ شَرٌّ فَقُلْتَ فِيهَا «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، فَقَالَ: «**نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**»(٢)

---

(١) في الأصل " فُلَانِيِّ الْفُلَانِ"، والحديث رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١/ ٤٨٢ ط الرشد/ ٨٨٧٦) عن الحاكم به على الصواب. وكذا في المختارة للضياء (٢٦٩٧).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٥٣٣/ ١٣٩٧) ورواه الضياء في «الأحاديث المختارة» (٧/ ٢٥٠/ ٢٦٩٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ ا.هـ وفيه نظر، حرب صدوق، وإنما خرَّج له مسلم حديثا واحدا في المتابعات. والإمام الدارقطني يقول -كما في تعليقاته على المجروحين لابن حبان (ص: ٧٩) -: حَرْب ... يحدث عَنْ النَّضر بْن أنس بنسخة لَا يُتَابع عَلَيْهَا ا. هـ وقال الضياء: روي في الصحيح من رواية ثابت نحو هذا الحديث، لكن قوله: إن لله

=

[١٨] وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**»، قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ، قَالَ: «**وَثَلاَثَةٌ**»، قُلْتُ: وَاثْنَانِ، قَالَ: «**وَاثْنَانِ**»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ.

[١٩] وروى النسائي عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، ثُمَّ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْلُكَ الْأُولَى وَالْأُخْرَى «**وَجَبَتْ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»(١)

=

ملائكة، إلى آخره، ليس في رواية ثابت، والله أعلم ا.هـ

(١) في سنده عامر بن سعد وهو البجلي، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه جمع من الثقات، وقال الحافظ في التقريب مقبول. والأقرب أنه صدوق حسن الحديث فقد خرج له مسلم في صحيحه حديثا واحدا. والحديث رواه النسائي (١٩٣٣) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ

=

[٢٠] وروى ابن ماجه وغيره عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّبَاوَةِ، أَوِ الْبَنَاوَةِ، قَالَ: وَالنَّبَاوَةُ مِنَ الطَّائِفِ، قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالُوا: بِمَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ**»(١)

= إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَامِرٍ به. ورواه أبو داود (٣٢٣٣) عن حفص بن عمر عن شعبة، وأحمد (١٠٠١٣) عَنْ سُفْيَانَ، وَمِسْعَرٍ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَامِرٍ به مختصرا بلفظ: مَرُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ شُهَدَاءُ**» وفي رواية: «**إِنَّكُمْ شُهَدَاءُ فِي الْأَرْضِ**». ورواه ابن ماجه (١٤٩٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، بلفظ: «**وَجَبَتْ، إِنَّكُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**» وسنده حسن. وزيادة «**الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ**» وردت أيضا في حديث إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ...فذكره وفيه: «**الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا شَهِدْتُمْ وَجَبَتْ**» رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٣/ ٦٢٦٢) عن موسى الربذي عن إياس به وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥) وأعله بضعف الربذي ا.هـ لكنه قد توبع فقد رواه الطبري في تفسيره جامع البيان ط هجر (٢/ ٦٣٢) بسند حسن عن عكرمة بن عمار عن إياس به وقال العلامة أحمد شاكر (٣/ ١٤٩): وهذا إسناد صحيح، على شرط مسلم ا.هـ قلت سنده حسن على شرط مسلم.

(١) في سنده أبو بكر بن أبي زهير فيه جهالة، ونحوه الراوي عنه: أمية بن صفوان بن عبد الله الجمحي، والحديث في الشواهد. وله شاهد عند البزار في مسنده رواه عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَبِيهِ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: بِالنَّبَاوَةِ أَوْ بِالنَّبَاةِ يَقُولُ: =

[٢١] وروى ابن ماجه أيضا وغيره عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ، وَإِذَا أَسَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: أَنْ قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ»(١)

***

=

«يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ بِمَ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ» قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ سَعْدٍ، إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ سَعْدٍ إِلَّا عَامِرٌ وَلَا عَنْ عَامِرٍ إِلَّا هَاشِمُ بْنُ هَاشِمٍ وَلَا عَنْ هَاشِمِ بْنِ هَاشِمٍ إِلَّا شُجَاعٌ وَلَمْ نَسْمَعْهُ إِلَّا مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ ا.هـ وإسناده حسن، وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٢٥٧).

(١) رواه ابن ماجه وأحمد وابن حبان وغيرهم عن عبد الرزاق -وهو في مصنفه- قال حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، به. وأعله الحافظان أبو حاتم وأبو زرعة بالإرسال. وقال أبو عوانة في مستخرجه (٤/ ١٩٢): فِي هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ فِي صِحَّتِهِ وَتَوْهِينِهِ ا.هـ وقال أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٤٣): غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مَنْصُورٍ لَمْ نَسْمَعْهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ا.هـ والصحيح في الحديث ما رواه ابن ماجه (٤٢٢٢) وغيره من حديث أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ كُلْثُومٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فذكره. وكلثوم تابعي ثقة ولا تصح له صحبة كما حققه الأئمة. فهو مرسل.

عاجل بشرى المؤمن

وإذا سر المؤمن بثناء الناس عليه متفائلا بذلك دون أن يكون ذلك بسعي منه فلا حرج

[٢٢] لما رواه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»(١)

[٢٣] وروى ابن ماجه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَهْلُ الْجَنَّةِ، مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ، مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُ»(٢).

[٢٤] وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان -بسند ضعيف- عَنْ أَبِي

---

(١) قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ هَذِهِ الْبُشْرَى الْمُعَجَّلَةُ لَهُ بِالْخَيْرِ وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ فَيُحَبِّبُهُ إِلَى الْخَلْقِ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمِدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ وَإِلَّا فَالتَّعَرُّضُ مَذْمُومٌ ا.هـ

(٢) في إسناده أبو هلال الراسبي وهو صدوق فيه لين، والأكثر على تضعيفه، وحسن حديثه هذا العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٤٠)

هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وَيُسِرُّهُ، فَإِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ، سَرَّهُ؟، قَالَ: «**لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ**»(١)

قال الإمام الترمذي: " وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيث فَقَالَ: إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنْ يُعْجِبَهُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِالخَيْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**» فَيُعْجِبُهُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ لِهَذَا لِمَا يَرْجُو بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَأَمَّا إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ الخَيْرَ لِيُكْرَمَ عَلَى ذَلِكَ وَيُعَظَّمَ عَلَيْهِ فَهَذَا رِيَاءٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ رَجَاءَ أَنْ يُعْمَلَ بِعَمَلِهِ فَيَكُونَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فَهَذَا لَهُ مَذْهَبٌ أَيْضًا ا.هـ

وقَالَ الإمام ابن حبان: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ أَنَّ اللهَ وَفَّقَهُ لِذَلِكَ الْعَمَلِ، فَعَسَى يُسْتَنُّ بِهِ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا سَرَّهُ ذَلِكَ لِتَعْظِيمِ النَّاسِ إِيَّاهُ، أَوْ مَيْلِهِمْ إِلَيْهِ، كَانَ ذَلِكَ ضَرْبًا مِنَ الرِّيَاءِ، لَا يَكُونُ لَهُ أَجْرَانِ وَلَا أَجْرٌ وَاحِدٌ. ا.هـ

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران] يقول العلامة السعدي رحمه الله:

ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله

(١) والحديث معل بالإرسال كما في السلسلة الضعيفة (٤٣٤٤)

من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء] وقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الصافات] وقد قال عباد الرحمن: ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان] وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر ا.هـ

[٢٥] وفي الباب: حديثُ قَيْسِ بْنِ بِشْرٍ التَّغْلِبِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي وَكَانَ جَلِيسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا، قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ فِي صَلَاةٍ، فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا يُسَبِّحُ وَيُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ الْتَقَيْنَا نَحْنُ وَالْعَدُوَّ، فَحَمَلَ فُلَانٌ فَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَا الْغُلَامُ الْغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ أَبْطَلَ أَجْرَهُ، فَسَمِعَ ذَلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، لَا بَأْسَ أَنْ

يُحْمَدَ وَيُؤْجَرَ» قَالَ: فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﷺ سُرَّ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَمَا زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. (١)

---

(١) ضعيف الإسناد، رواه أبو داود (٤٠٨٩) و أحمد (١٧٦٢٢) وصححه الحاكم (٧٣٧١) عن هشام بن سعد عن قيس به. وهشام فيه ضعف، وشيخه صدوق على الراجح وأبوه من كبار التابعين وقال فيه الحافظ صدوق. والحديث حسنه النووي في رياض الصالحين (٧٩٧) ويشهد لمعناه حديث أبي ذر ﷺ المتقدم

أنت تكتب سيرتك بعملك

والمقصود أن الإنسان في هذه الدنيا، يكتب سيرته بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. كما قيل:

عُمـرُ الفَتَـى ذكـرُهُ لَا طُـولُ مُدَّتِـهِ ... وَمَوتُـهُ خِزيُـهُ لَا يَومُـهُ الـدَّانِي

فَـأَحْيِي ذِكْـرَكَ بِالإِحْسَـانِ تَزْرَعـهُ ... تُجْمَعْ بِهِ لَكَ فِي الدُّنْيَا حَيَاتَانِ(١)

وقد قيل: "اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أنّ مالك عند الله مثل ما للناس عندك".

والجزاء من جنس العمل.

[٢٦] وفي الموطأ عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَتْبَعُهُ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ**»(٢)

---

(١) نسبه في «الدر الفريد وبيت القصيد» (٧/ ٢٦٠) إلى الأَمِيْرِ أَبي الفَضْلِ عَبْد اللهِ بن أَحْمَدَ المِيكَالِيُّ (ت: ٤٣٦هـ) انظر ترجمته في «المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور» (ص٤٦١ ط إيران)

(٢) «موطأ مالك - رواية يحيى» (٢/ ٩٠٤ ت عبد الباقي رقم ٥) وروي مرفوعا عن علي رضي الله عنه بسند لا يصح كما في «السلسلة الضعيفة» (١٦٢٠) للعلامة الألباني.

[٢٧] وقيل لبعض الحكماء: ما أفادك الدهر؟ قال: العلم به.

قيل: فما أحمد الأشياء؟ قال: أن تبقي للإنسان أحدوثة حسنة.

[٢٨] وقال مجاهد وقتادة في قول الله تعالى ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤]: إنه أراد حسن الثناء من بعده.

أي: واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به، ويقتدى بي في الخير.

وقال زهير:

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ ... وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ

وَلَكِـنَّ مِنْـهُ بَاقِيَـاتٍ وِرَاثَـةً ... فَـأَوْرِثْ بَنِيـكَ بَعْضَـهَا وَتَـزَوَّدِ

تَـزَوَّدْ إِلَـى يَـوْمِ الْمَمَـاتِ فَإِنَّـهُ ... وَإِنْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدِ(١)

وأنشد بعضهم:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ النَّـاسَ يَخْلُـدُ بَعْـدَهُمْ ... أَحَـادِيثُهُمْ وَالْمَـرْءُ لَـيْسَ بِخَالِـدِ

وقال بعضهم:

وَإِذَا الْفَتَـى لَاقَـى الْحِمَـامَ رَأَيْتَـهُ ... لَـوْلَا الثَّنَـاءُ كَأَنَّـهُ لَـمْ يُولَـدِ(٢)

---

(١) يقول: لو أن الفعل المحمود يخلّد صاحبه في الدنيا، لخلّدك ولم تمت. غير أنّ منه ما يبقى ويتوارث فيقوم مقام الحياة لصاحبه ... فأورث بعض مكارمك ومحامدك، وتزوّد بعضها لما بعد موتك.

(٢) يقول: لولا ثناء الناس عليه بعد موته، وذكره بالجميل الذي يقدمه ويسديه، لنسي وقته وأمده، وصار حكمه حكم من لم يولد فيعرف يومه وغده، لكن باقي الذكر ونامي =

وقال بعضهم:

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقَضِي إِلَّا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقِ

وقال أكثم بن صيفي: إنما أنتم أخبار فطيّبوا أخباركم.

وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب الطائي فقال:

وما ابن آدم إلّا ذكر صالحة أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم

أما سمعت بدهر باد أمّتُه جاءت بأخبارها من بعدها أمم

وقال أبو بكر محمد بن دريد:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيْثٌ بَعْدَه فَكُنْ حَدِيْثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

وقالوا: الأيام مزارع، فما زرعت فيها حصدته.

وفي هذا يقول ابن عبد ربه الأندلسي:

إنَّ الحَيَاةَ مزارعٌ فازرعْ بها ما شئتَ تحصدْ

والناسُ لا يبقى سوى آثارِهم والعينُ تفقدْ

أو ما سمعتَ بمنْ مضَى هذا يُذَمُّ وذاك يحمَدْ

وقال آخر:

وما الخير في طول الحياة إذا امرؤ مضى ثمّ لم يذكر بخير عواقبه

= العهد والرسم، بما ينشر من حديث حسن وقصة، ويحمد من عادة وسنة، هو الذي يصير به في حكم الحي الذي لم يمت، والمشهود الذي لم يفت..انظر: «شرح ديوان الحماسة» (ص١٢٣١) للأصفهاني.

وقال آخر:

فـإن يـك أفنتـه اللّيـالي ومرّهـا فـإنّ لـه ذكـرا سـيفني اللّياليـا

وقال آخر

عرضـت وجهـي ودنـا انطلاقـي والمـال يفنـى والثّنـاء بـاقي

وقال أحمد شوقي:

دَقَّـاتُ قَلْـبِ المَـرْءِ قَائِلَـةٌ لَـهُ إنَّ الحَيَـاةَ دَقَـائِقٌ وَثَـوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعدْ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالـذِّكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمْـرٌ ثَـانِي

وقال تقي الدين المقريزي رحمه الله -في رسائله-:

ولعمرى إن الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما، وقد قيل في هذا المعنى:

ردت صـنائعه إليـه حياتـه فكأنـه مـن نشـرها منشـور

... وقد منّ الله تعالى على نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٨، ١٠٨، ١٢٩]، ومعناه تركنا عليه ثناء حسنا في كل أمة، ... والثناء الحسن والصفات الجميلة قد تبلغ أقصى الآفاق؛ وذلك أنّ الإنسان ما دام حيا يزهد فيه نظراؤه، فإن النفوس كأنها ناظرة إليه، ومن شأن صاحب المروءة أن يزهد فيما ظفر به لأنه في يده قد أمن فواته، وأن يحرص على طلب ما غاب عنه،

ويرغب في تحصيله، فإذا مات الإنسان فقد فات، فتلهج[١] الألسنة حينئذ بتكرار أخباره وإثارة فضائله، ونشر مآثره، وإذاعة محاسنه، حتى لقد كان موته سببا لاشتهار فضائله أكثر من اشتهارها في حياته[٢]، ...قال: وانتشارها بعد موته حياة باقية يتوجّه إليها الصالحون ويرغب فيها

---

(١) في الأصل (فتلمح) والتصحيح من المخطوط.

(٢) وقد قيل في هذا:

وَالمَـرْءُ مَـا دَامَ حَيًّـا يُسـتَهَانُ بِـهِ ... وَيُعْـرَفُ الـرُّزْءُ فِيْـهِ حِـيْنَ يُفْتَقَـدُ

وقال أشجع بن عمرو السلمي -في رثاء عمرو بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي-:

وَمَـا كُنْـتُ أَدْرِي مَـا فَوَاضِـلُ كَفِّـهِ ... عَلَـى النَّـاسِ حَتَّـى غَيَّبَتْـهُ الصَّـفَائح

وهذا المعنى ورد أيضا في قول أبي فراس الحمداني:

سَـيَذْكُرُنِي قَـوْمِيْ إِذَا جَـدَّ جِـدُّهُم ... وَفِـي اللَّيلَـةِ الظَلمَـاءِ يُفتَقَـدُ البَـدرُ

وقال ابن المعتز:

رَأَيـتُ حَيَـاةَ المَـرءِ تُـرخِصُ قَـدرَهُ ... فَـإِنْ مَـاتَ أَغلَتـهُ المَنَايَـا الطَّـوايحُ

كَمَـا يَخْلَـقُ الثَّـوْبَ الجدِيْـدَ ابتِذَالُـهُ ... كَـذَا يُخْلِـقُ المَـرْءَ العيُـونُ اللَّـوَامِحُ

وقيل أيضا:

تَـرى الفَتَـى يُنكِـرُ فَضْـلَ الفَتَـى ... مـا دامَ حيـًا فَـإِذَا مَـا ذَهَـبْ

لَـجَّ بِـهِ الحِـرْصُ علـى نُكْتَـةٍ ... يَكْتُبُهَـا عَنْـهُ بِمَـاءِ الـذَّهَبْ

وقيل أيضا (وهو لعبيد بن الأبرص بن عون الأسدي):

لا أعرِفَنَّـكَ بَعْـدَ اليَـومِ تَنـدُبُنِي ... وفي حَيـاتيَ مـا زَوَّدْتَنـي زادي

وهذا يقال إذا ضيع الرجل حق أخيه في حياته، ثم بكاه بعد موته. قاله أبو عبيد في الأمثال (ص:١٨١)

العارفون ا.هـ(١).

ومهما حاول البعض أن يحسن سيرته عند الناس بالقوة أو بالجاه أو بالمال، فإنه لن يستطيع أن يحرِّف التاريخ، ولن يستطيع أن يغير الحقائق. وقد دونت لنا كتب التاريخ والتراجم أمورا كثيرة عن المترجمين، من خير ومن شر. ولذا قيل التاريخ خير شاهد.

وقال أحمد شوقي:

وآثــارُ الرجـــالِ إذا تناهَـــتْ   إلــى التــاريخِ خيــرِ الحاكمينــا

فاعمل أيها المسلم عملا صالحا ترضي به ربك، ويكون سببا للذكر الحسن لك عند الله وعند الناس.

فإذا مت حينئذ وذكرك الناس، ذكروك بالعمل الصالح فقالوا كان مصليا وكان محسنا وكان عادلا وهكذا، فيدعون لك بالرحمة والمغفرة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢]

أي نَكْتُبُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي بَاشَرُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَآثَارَهَمُ الَّتِي أَثَرُوهَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ.(٢)

قَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِي:

منْ يَأْمَنُ الـدهْرَ أَوْ يَرْجـو الْخلـودَ بِـهِ   بعـد الـذين مضـوا في سـالف الأمـم

---

(١) «رسائل المقريزي» (ص٢٤٩).

(٢) ينظر: أي: «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٦/ ٥٦٥)

لَـيْسَ امْـرُؤٌ كَـانَ فِي عَـيْشٍ يُسَـرُّ بِـهِ ... يومـا بأخلـد مـن عـادٍ ومـن إرم
يَهْـوَى الْخلـودَ وَقَـدْ خُطَّـتْ مَنِيتـهُ ... ولا مــردَّ لأمــرٍ خُــطَّ بــالقلم
لا بـد أن الْمَنَايَـا سَـوفَ تدْرِكـهُ ... ومـن يُعَمَّـر فلـن ينجـو مـن الهَـرَمِ
أَيْـنَ ابْـن حَـرْب وَقَـوْمٌ لا أَحسُّـهُمُ ... كـانوا علينـا قريبـا مـن بنـي الحكـم
بَـادوا وَآثَـارهمْ فِي الأرْضَ بَاقِيَـةٌ ... تِلْكُـمْ معـالمهم في النـاس لـم تُـرَمِ

وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله:

فإذا علم الإنسان -وإن بالغ في الجد- بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته:

فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له، أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالِم ولدُه المخلَّد، وأن يكون عاملًا بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به؛ فذلك الذي لم يمت.

.... قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أحياءُ[(١)]

ا.هـ[(٢)]

---

(١) وصدره (مَوْتُ التَّقِيِّ حَيَاةٌ لَا نَفَادَ لَهَا)ومن هذا الباب قول الإمام الشافعي رحمه الله:

قَـدْ مَـاتَ قَـومٌ وَمَـا مَاتَـتْ مَحَاسِنُهُمْ ... وَعَاشَ قَـومٌ وَهُـمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

(٢) صيد الخاطر (ص٦٣/ ت طارق عوض الله)

وقال بعضهم(١) في بيان أن أعظم الذكر هو العلم النافع:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمٌ، وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ بَعْدِ ذَا نَسَبٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ، فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ، إِنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَعِشْ بِعِلْمٍ، وَلَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا ... فَالنَّاسُ مَوْتَى، وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

(١) ينسب لأمير المؤمنين علي ﷺ كما في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢١٨)

القبول عند الناس والمحبة من الله

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦]. أي أن الله تعالى يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، في قلوب عباده الصالحين مودة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ومنها:

[٢٩] ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيل فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**» زاد مسلم «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**».

وهذا الحديث يبين: أن الواجب على المسلم أن يجتهد في رضا ربه ومولاه. وأن محبة الناس للعبد هي من الله تعالى، فالقلوب بيده، والقبول والبغضاء في قلوب العباد منه سبحانه. والثبات على الخير بيد الله.

[٣٠] وقد روى ابن ماجه والنسائي في الكبرى وأحمد وابن حبان والحاكم بسند صحيح عنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ ﭬ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**». وقَالَ: «**وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»

﴿﴾

اتهام الناس للآخرين بالباطل سنة ماضية

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن كلام الناس فيك بالباطل، سنة ماضية في العباد.

لم يسلم منها أحد.

فلا تشغل نفسك، ولا تحزن ولا يتكدر خاطرك، فتنقطع أعمالك وإنجازاتك الطيبة بسبب ذلك،

فما كل ما يقال يستحق منك الرد والعتاب.

[٣١] روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال:

(وَلَوْ أَنَّ امْرَأً كَانَ أَقْوَمَ مِنْ قِدحٍ(١) لَوَجَدْتَ لَهُ غَامِزًا) (٢)

[٣٢] وقيل: (وَلَنْ تَعْدِمَ الْحَسْنَاءُ ذَامًّا)

---

(١) القِدْحُ هاهُنا السَّهْمُ.

(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٣٤) ولفظه: «**مَا مِنْ أحد عنده نِعْمَةٌ إِلا وَجَدْتَ لَهُ حَاسِدًا وَلَوْ كَانَ الْمَرْءُ أَقْوَمَ مِنَ الْقدحِ لَوَجَدْتَ لَهُ غَامِزًا**» وانظر أيضا: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٧٢٥) وروي عن معاذ مرفوعا، ولا يصح كما في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٦٩٤٤).

وقال أبو الفضل الميكالى (٤٣٦هـ):

ذُو الفَضْـلِ لَا يَسـلَمُ مِـن قَـدحِ وَإِنْ غَـدَا أَقـومَ مِـن قِـدحِ(١)

قال شيخنا محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله في مقدمة كتابه التسامح:

إن المرء في هذه الحياة الدنيا (دار الابتلاء) مهما حاول الاعتدال في تعامله مع الناس، والسلامة من أذاهم، القولي والفعلي، فلن يَسْتَتِبَّ له الأمر؛ لاختلاف معادنهم، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**النَّاسُ مَعَادِنُ، كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ** ... » رواه مسلم عن أبي هريرة، فلربما وجد جفوة من صديق، أو حِدَّة في القول من جارٍ. ولو سَلِمَ من ذلك أحدٌ، لَسَلِمَ منه أصدق الناس، وأعدلهم، وأكثرهم حلماً، وعطفاً، وشفقةً بهم، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لاقى منهم الأذى، والطرد، والرجم، حتى سال الدم من قدميه الشريفتين صلى الله عليه وآله وسلم، ...إلخ

وقال أبو العتاهية:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا وَلِلنَّاسِ قِيلٌ بِالظُّنُونِ وَقَالُ(٢)

---

(١) ينظر: «التمثيل والمحاضرة» (ص١٢٩)للثعالبي.

(٢) ينظر: «ديوان أبي العتاهية» (ص٣٥٦) و«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١١٦) و «الطيوريات» (٣/ ١١٦٣)

وقال بعضهم:

وَلَسْـتُ بِنَـاجٍ مِـنْ مَقَالَـةِ طَـاعِنٍ وَلَوْ كُنْتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَعْـرِ
وَمَـنْ ذَا الَّـذِي يَنْجُـو مِـنَ النَّـاسِ سَـالِمًا
وَلَـوْ غَـابَ عَـنْهُمْ بَـيْنَ خَـافِيَتَيْ(١) نَسْـرِ(٢)

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ:

سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَتَى يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ. قِيلَ: وَمَتَى يَكُونُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا مَاتَ. قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَهُوَ حَيٌّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَيِّرًا فَالْأَشْرَارُ يُعَادُونَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ شِرِّيرًا (فَالْأَخْيَارُ) (٣) يَمْقُتُونَهُ. وَالْمَثَلُ سَائِرٌ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ: مَا لَقِيَ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ.

وقَالَ الخطابي أيضا:

أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ شَكْلَةَ:

وَمَـا أَنْـتَ إِلَّا ظَـالِمٌ وَابْـنُ ظَـالِمٍ لِأَنَّـــكَ مِـــنْ أَوْلَادِ حَـــوَّا وَآدَمِ
وَلَوْ كُنْتَ مِثْلَ الْقِدْحِ أَلْفَيْتَ قَائِلًا أَلَا مَـا لِهَـذَا الْقِـدْحِ لَـيْسَ بِقَـائِمِ

---

(١) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه؛ خفيت، وتكون وراء القوادم.

(٢) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٤٠)

(٣) مستدرك على الأصل من «بدائع السلك في طبائع الملك» (٢/ ٤٣٩) لابن الأزرق الغرناطي.

وَلَـوْ كُنْـتَ مِثْـلَ النَّصْـلِ أَلْفَيْـتَ قَـائِلًا
أَلَا مَـا لِهَـذَا النَّصْـلِ لَـيْسَ بِصَـارِمِ(١)

[٣٣] ورحم الله الإمام الشافعي إذ قِيلَ له: النَّاسُ يَقُولُونَ إِنَّكَ شِيعِيٌّ؟ فتمثل قول نُصَيْبٍ الشَّاعِرِ: (........... وَهَلْ حَيٌّ عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ) ثم قَالَ: «لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ، فَانْظُرْ إِلَى مَا يُصْلِحُ دِينَكَ فَالْزَمْهُ»(٢)

---

(١) «العزلة للخطابي» (ص٥٩)

(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة» (٩/ ١٤٨)

افتراء المشركين على رب العالمين

وأعظم تسلية للمؤمن أن يتذكر أن الله تعالى وهو رب العزة والجلال الملك القهار، والرحيم الرحمن، المحسن إلى جميع العباد بالعطايا في الليل وفي النهار على الدوام، لم يقْدُره المشركون والكفار حق قدره، ولا عظموه حق عظمته. بل افتروا على الله، وتطاولوا بالكذب عليه وهو يرزقهم ويعطيهم ويمهلهم ويستأني بهم(١).

قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾ [يونس]

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ ﴾ [مريم]

---

(١) وروى الطبراني في مسند الشاميين (٩٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٦٣) وغيرهما بسند ضعيف عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي» وانظر: السلسلة الضعيفة (٢٣٧١)

وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل]

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الصافات]

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج]

[٣٤] وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، [إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَ] [إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَ] يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ [وَيُعْطِيهِمْ]**»(١)

[٣٥] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**قَالَ اللهُ عز وجل:**

---

(١) متفق عليه والزيادات لمسلم.

يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١)

[٣٦] وفي رواية: «... وَلاَ تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٢)

[٣٧] وفي رواية لمسلم «قَالَ اللهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٦/ ٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٤٦/ ٣). والدهر هو الزمان؛ اليوم، والليلة، والشهر، والسنة، وهي أزمنة مخلوقة، لا تفعل شيئا وإنما سخرها الله سبحانه وتعالى، وهي لا تفعل شيئا، وإنما الذي يفعل هو الله جل وعلا، فمن سب الأيام والليالي فقد آذى الله لأنه هو سبحانه المتصرف فيها. قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ – كما في مجموع فتاواه (١/ ١٤٦)– : وقد كان العرب في الجاهلية ينسبون إلى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. وهذا هو معنى قوله: «**وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» يعني أن ما يجري فيهما من خير وشر بإرادة الله وتدبيره وبعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة. ...؛ وقال أيضا: كل ما يجري في هذه الحياة هو بتقدير الله وعلمه، والله سبحانه هو الذي يصرف الليل والنهار، وهو الذي يقدر السعادة والشقاء، حسب ما تقتضيه حكمته وقد تخفى تلك الحكمة على الناس؛ لأن علمهم محدود، وعقولهم قاصرة عن إدراك تلك الحكمة الإلهية، وكل ما في الوجود مخلوق لله، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، =

[٣٨] وقال ابن مفلح المقدسي رحمه الله: قَالَ مُوسَى - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْه - يَا رَبِّ إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ؛ فَأَوْحَى اللهُ إلَيْهِ يَا مُوسَى لَمْ أَجْعَلْ ذَلِكَ لِنَفْسِي فَكَيْفَ أَجْعَلُهُ لَكَ؟.. قال: وَقَالَ عِيسَى - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْه -: لَا يَحْزُنْكَ قَوْلُ النَّاسِ فِيكَ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا كَانَتْ حَسَنَةً لَمْ تَعْمَلْهَا، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا كَانَتْ سَيِّئَةً عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهَا. ا.هـ(١)

= ويعز ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وقد أحسن كل شيء خلقه، وكل أفعال الخالق وأوامره ونواهيه، لها حكمة بالغة وغايات محمودة، يشكر عليها سبحانه، وإن لم يعرفها البشر لقصور إدراكهم ا.هـ فالمقصود بسب الدهر أن ينسب الفعل إليه، وأنه فعل به ما يسوؤه، فهذا هو الذي يكون أذية لله جل وعلا. وهو أنواع منها: ما بينه العلامة ابن عثيمين رحمه الله -في القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٠)- فقال: (الأول): أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا؛ فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد؛ فإنه كافر. (الثاني): أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله - سبحانه -؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويُكَوِّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السب يُكَفِّر؛ لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة ا.هـ

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٧)

بعض ما أوذي به الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

وكذلك من أعظم التسلية لك أخي المبتلى، أن تعلم أن أنبياء الله تعالى ورسله ابتلوا بالقيل الباطل وأوذوا في دينهم فصبروا وواصلوا رسالة ربهم حتى بلَّغوها. والأنبياء أشدُّ الناس بلاء.

[٣٩] كما في حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» رواه الترمذي.

[٤٠] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ**

لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ» رواه ابن ماجه

وقد تجاوز الأذى من بعض الأمم لأنبيائهم إلى قتلهم. قال ربنا -جل وعلا- في شأن أنبياء بني إسرائيل: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة].

وبلغ الأذى ببعض الأنبياء إلى السجن ظلما وعدوانا: كما هو الحال مع نبي الله يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] وذكر الله أنه لبث في السجن، فقال: ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يوسف]. وكان سبب ذلك افتراءات امرأة العزيز كما هو معلوم.

وما من نبي أو رسول إلا وناله أذىً من قومه كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الذاريات]

قيل لنوح عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأعراف]

وقيل لهود عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأعراف]

وقيل لصالح وشعيب عليهما السلام ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣ و١٨٤]

وكان نبي الله وكليمه موسى من أكثر الأنبياء أذى من قومه قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب]

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

بكاء نبي الله موسى عليه السلام من اتهامات قومه

[٤١] ومما أوذي به كليم الله ونبيه موسى عليه السلام ما حدَّث به الحبر ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِ وَكَانَ تَتَبَّعَ الْعِلْمَ حَتَّى جَمَعَ عِلْمًا فَلَمْ يَزَلْ فِي أَمْرِهِ ذَلِكَ حَتَّى بَغَى عَلَى مُوسَى وَحَسَدَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ آخُذَ الزَّكَاةَ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمٌ فَأَبَى، فَقَالَ: مِنْ كُلِّ مِائَةِ دِرْهَمٍ دِرْهَمٌ فَأَبَى، فَقَالَ: لَا يُطِيقُ هَذَا حَتَّى الأَلْفِ، فَقَالَ: فِي كُلِّ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ دِرْهَمٍ[دينارٌ أودرهمٌ]،(١) فقَالَ قارون: **إِنَّ مُوسَى يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ أَمْوَالَكُمْ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالُوا: أَمْرُنَا لِأَمْرِكَ تَبَعٌ(٢)**،

---

(١) في رواية عند ابن أبي شيبة: لَمَّا أَتَى مُوسَى قَوْمَهُ فَأَمَرَهُمْ بِالزَّكَاةِ، فَجَمَعَهُمْ قَارُونُ فَقَالَ: هَذَا قَدْ جَاءَكُمْ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَبِأَشْيَاءَ تُطِيقُونَهَا، تَحْتَمِلُونَ أَنْ تُعْطُوهُ أَمْوَالَكُمْ؟ قَالُوا: مَا نَحْتَمِلُ أَنْ نُعْطِيَهُ أَمْوَالَنَا فَمَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نُرْسِلَ إِلَى بَغِيٍّ ...إلخ.

(٢) في الأصل (أَمْرُنَا بِأَمْرِكَ تَبَعٌ)، والمذكور أولى.

فَأَرْسَلُوا إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا لَهَا: **نُعْطِيكِ حُكْمَكِ عَلَى أَنْ تَشْهَدِي عَلَى مُوسَى أَنَّهُ فَجَرَ بِكِ قَالَتْ: نَعَمْ**، قَالَ: فَجَاءَ قَارُونُ إِلَى مُوسَى قَالَ: اجْمَعْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَخْبِرْهُمْ بِمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: نَعَمْ، فَجَمَعَهُمْ فَقَالُوا: مَا أَمَرَكَ؟ قَالَ عليه السلام: أَمَرَنِي أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَصِلُوا الرَّحِمَ، وَكَذَا وَكَذَا، وَأَمَرَنِي فِي الزَّانِي إِذَا زَنَى وَقَدْ أُحْصِنَ أَنْ يُرْجَمَ فَقَالُوا: وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَفِي السَّارِقِ إِذَا سَرَقَ أَنْ يُقْطَعَ، فَقَالُوا: وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ؟ قَالَ موسى عليه السلام: نَعَمْ قَالُوا فَإِنَّكَ قَدْ زَنَيْتَ، قَالَ: إِذًا فَأَرْسِلُوا إِلَى الْمَرْأَةِ، فَجَاءَتْ فَقَالُوا مَا تَشْهَدِينَ عَلَى مُوسَى؟ [**فَرَمَتْ مُوسَى** عليه السلام **عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ**] فَقَالَ لَهَا مُوسَى: أَنْشُدُكِ بِاللهِ إِلا مَا صَدَقْتِ، فَقَالَتْ: أَمَا إِذَا أَنْشَدْتَنِي بِاللهِ فَإِنَّهُمْ دَعَونِي وَجَعَلُوا لِي جُعْلا عَلَى أَنْ أَقْذِفَكَ بِنَفْسِي وَأَنَا أَشْهَدُ أنك برئ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: **فَخَرَّ مُوسَى سَاجِدًا يَبْكِي** [**فَدَعَا اللهَ عَلَيْهِمْ**]، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ مَا يُبْكِيكَ؟ قَدْ سَلَّطْنَاكَ عَلَى الأَرْضِ فَمُرْهَا فَتُطِيعُكَ، [**فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى الْأَرْضِ أَنْ أَطِيعِيهِ**]، **قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى وَرِكَيْهِ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى، فَقَالَ: خُذِيهِمْ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى. فَقَالَ: خُذِيهِمْ قَالَ: فَغَرِقُوا فِيهَا**. [وفي رواية: **فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكَبِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى قَالَ: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى حُجَزِهِمْ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى فَقَالَ: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا**

مُوسَى، قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ فَغَيَّبَتْهُمْ،] فَقَالَ اللهُ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، [خُسِفَ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى] (١)... [فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُوسَى، سَأَلَكَ عِبَادِي وَتَضَرَّعُوا إِلَيْكَ فَأَبَيْتَ أَنْ تُجِيبَهُمْ] حِينَ هَلَكُوا(٢)، [أَمَا وَعِزَّتِي] لَوْ إِيَّايَ دَعَوْا لأَجَبْتُهُمْ.(٣)

---

(١) هذه الزيادة من مستدرك الحاكم، والباقي من مصنف ابن أبي شيبة.

(٢) روى ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص٤٨) عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ، قَالَ: لَقِيَ قَارُونُ يُونُسَ عليه السلام فِي ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ، فَنَادَى قَارُونُ يُونُسَ، قَالَ: يَا يُونُسُ تُبْ إِلَى اللهِ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ عِنْدَ أَوَّلِ قَدَمٍ تَرْجِعُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ يُونُسُ: مَا مَنَعَكَ مِنَ التَّوْبَةِ؟ قَالَ: إِنَّ تَوْبَتِي جُعِلَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّي، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنِّي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣١٨٤٣/ ت الحوت) قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به. والزيادات منه وعن أبي معاوية رواه إسحاق بن إسماعيل الطالقاني كما في كتاب العقوبات لابن أبي الدنيا (٢٣٣). وأحمد بن عبد الجبار العطاردي في زوائده على سيرة ابن إسحاق (ص٢٠٩). وإسحاق بن راهويه – ومن طريقه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٤٣) رقم (٣٥٣٦) –، وعنده: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وتابعه عن الأعمش جماعة منهم: وكيع فرواه عن الأعمش به مختصرا، رواه من طريقه الحسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٠٦٥) والطبري في تفسيره (١٨/ ٣٣٤/ ط هجر) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ٣٨٤/ رقم ٤١٠) ومنهم يحيى بن عيسى الرملي: رواه من طريقه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠٠٥) رقم (١٧٠٧٦) وجاء في سنده يحيى "بن غسان" بن

=

بعض ما أوذي به نبينا محمد ﷺ

ولا يخفى ما حصل لنبينا محمد ﷺ من الأذى، والطرد عن بلده، والرجم، حتى سال الدم من قدميه الشريفتين ﷺ، مع ما اتهموه به من الباطل قال الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾ [ص]. وكانوا يعلمون أنه ﷺ أصدق الناس، وأعدلهم. ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأنعام]

ولم يكن الأذى الواقع على رسولنا ﷺ من جهة المشركين فحسب، بل تكالب على إيذائه والنيل منه المشركون وأهل الكتاب والمنافقون.

[٤٢] وكان من أعظم السهام التي وجهت إليه ﷺ الطعن في عرضه في حادثة الإفك وإتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عرضها وإشاعة ذلك

= عيسى، وقوله "ابن غسان" زيادة مقحمة. ومنهم جابر بن نوح وعلي بن هاشم عن الأعمش وروايتهما في تفسير الطبري أيضا ومنهم محاضر بن المورع وروايته عند ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٨) (١٧١٥٦) والسياق أعلاه له. تنبيه: قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه شيخنا العلامة أبو عبد الرحمن مقبل الوادعي فقال: المنهال بن عمرو ليس من رجال مسلم فهو على شرط البخاري وحده ولكنهما لم يحرصا على إخراج القصص الإسرائيلية ا.هـ قلت: ليس على شرطهما فليس للأعمش في الصحيح عن المنهال رواية كما في تهذيب الكمال فالإسناد صحيح ورجاله رجال البخاري والله أعلم.

شهرا كاملا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في بلاء عظيم حتى نزلت الآيات ببراءتها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [النور]

ومن عجبٍ، أن هذه الحادثة العصيبة، جاء فيها القرآن صراحة بالبراءة لعائشة رضي الله عنها والدفاع عنها، ثم لا يزال أقوام حتى اليوم يشيعون الباطل ويتهمونها بما هي منه براء، ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢]

ولنا في هذا أكبر العظة والاعتبار، فكن على إياس من صفو الدنيا من الأكدار.

وليس القصد هو الاستقصاء، وإنما الإشارة لما هو معلوم ومشهور والتذكير بما هو مبين ومسطور في الكتاب والسنة وسير العلماء.

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي رحمه الله:

ومن الذي حصل له غرض ثم لم يكدر؟!

- هذا آدم، طاب عيشه في الجنة، وأخرج منها،
- ونوح سأل في ابنه فلم يعط مراده،
- والخليل ابتلي بالنار،
- وإسماعيل بالذبح،

- ويعقوب بفقد الولد،
- ويوسف بمجاهدة الهوى،
- وأيوب بالبلاء،
- وداود وسليمان بالفتنة،
- وجميع الأنبياء على هذا،

وأما ما لقي نبينا محمد ﷺ من الجوع والأذى وكدر العيش، فمعلوم»(١)

ﮋ ◈ ﮊ

(١) صيد الخاطر (ص٧٢٧/ ط عوض الله).

رضاء الناس غاية لا تدرك

واعلم أنَّ رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم يكون فيه سخط غيرهم.

وقد أحسن من قال:

يُساء فِهمك بينَ الناسِ أحيانًا فيخلقون لك الأوصاف ألوانًا
فقد تكونُ ملاكًا عند بعضهم وقد تكونُ بين البعض شيطانًا
طبائع الناس شتى وهي أمزجةٌ ولن تطيق لها بالفهم إمكانًا
فلا يغرك مدحٌ لو أتوك بهِ ولا يضرك ذمٌ كيفما كانَا
لا يعرف النفس شخص مثل صاحبها فكن لنفسك في التقييم ميزانًا

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ... **الذي شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور**؛ لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وأن ضرره ونفعه بيد الله، بل رضاء الناس غاية لا تنال، فرضاء الله أولى بالطلب، ولذلك قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ليونس بن عبد الأعلى: «والله ما أقول لك إلا نصحا، إنه ليس إلى السلامة من الناس

من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله» (١)...إلخ (٢)

[٤٣] وفي «روضة العقلاء» لابن حبان، أنَّ أمير المؤمنين المنصورَ قَالَ لابنه المهدي: «**اعلم أن رضاء الناس غاية لا تدرك فتحبب إليهم بالإحسان جهدك وتودد إليهم بالإفضال واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم**» ا.هـ(٣)

[٤٤] ومن كتاب العزلة للخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: «**رِضَاءُ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ، وَلَا تَكْرَهْ سَخَطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ**»

[٤٥] وقال النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: «**كَتَبَ إِلَيَّ الْخَلِيلُ: وَأَنْ دَعِ النَّاسَ وَاشْمِئْزَازَهُمْ، إِذَا عَرَفْتَ الْحَقَّ فَالْزَمْ**»

[٤٦] وأنشد أَبُو الْعَبَّاسِ (ثعلب):

دَعِ النَّاسَ مَا شَاءُوا يَقُولُوا فَإِنَّنِي لِأَكْثَرِ مَا يُحْكَى عَلَيَّ حَمُولُ
فَمَا كُلُّ مَنْ أَغْضَبْتُهُ أَنَا مُعْتِبٌ وَلَا كُلُّ مَا يُرْوَى عَلَيَّ أَقُولُ

---

(١) رواه أحمد كما في «العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية المروذي وغيره ت وصي الله عباس» (٥٢٧) وأبو حاتم كما في «آداب الشافعي ومناقبه لابنه» (٢١٢): عن يونس به دون أوله ورواه الخطابي في «العزلة» (ص٧٦) من طريقين عن يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، قالَ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يَا أَبَا مُوسَى رِضَاءُ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ. فَانْظُرْ مَا فِيهِ صَلَاحُ نَفْسِكَ فَالْزَمْهُ وَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ فِيهِ**»

(٢) «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» (ص١٥٢).

(٣) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٢٣٥)

[٤٧] وأنشد ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَوَكُلَّمَا طَنَّ الذُّبَابُ زَجَرْتُهُ إِنَّ الذُّبَابَ إِذًا عَلَيَّ كَرِيمُ (١)

ولو تأمل الإنسان:

لعلم أنَّ حمد الناس له لا يزيده رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته -وهو يوم القيامة-.

ولعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله.

ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة،

وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة

فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ

وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم مِنَّتِهِ ومَذلته.

(١) ينظر: «العزلة للخطابي» (ص٧٦)

وصف الإمام ابن منده لحال الإنسان مع الناس

وقد قال الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق الأصبهاني المعروف بابن منده (ت: ٤٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«عَجِبْتُ مِنْ حَالِي فِي سَفَرِي وَحَضَرِي مَعَ الْأَقْرَبِينَ مِنِّي وَالْأَبْعَدِينَ، وَالْعَارِفِينَ وَالْمُنْكِرِينَ، فَإِنِّي وَجَدْتُ بِمَكَّةَ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَمَاكِنِ أَكْثَرَ مَنْ لَقِيتُ بِهَا مُوَافِقًا أَوْ مُخَالِفًا، دَعَانِي إِلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى مَا يَقُولُهُ، وَتَصْدِيقِ قَوْلِهِ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ:

- فَإِنْ كُنْتُ صَدَّقْتُ فِيمَا يَقُولُ وَأَجَزْتُ لَهُ ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ؛ سَمَّانِي مُوَافِقًا،
- وَإِنْ وَقَفْتُ فِي حَرْفٍ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْ فِعْلِهِ سَمَّانِي مُخَالِفًا،
- وَإِنْ ذَكَرْتُ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَارِدٌ، سَمَّانِي خَارِجِيًّا،
- وَإِنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا فِي التَّوْحِيدِ، سَمَّانِي مُشَبِّهًا،
- وَإِنْ كَانَ فِي الرُّؤْيَةِ؛ سَمَّانِي سَالِمِيًّا،

- وَإِنْ كَانَ فِي الْإِيمَانِ سَمَّانِي مُرْجِئًا،
- وَإِنْ كَانَ فِي الْأَعْمَالِ، سَمَّانِي قَدَرِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْرِفَةِ سَمَّانِي كَرَامِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، سَمَّانِي نَاصِبِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ سَمَّانِي رَافِضِيًّا،
- وَإِنْ سَكَتُّ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ فَلَمْ أُجِبْ فِيهِمَا إِلَّا بِهِمَا، سَمَّانِي ظَاهِرِيًّا،
- وَإِنْ أَجَبْتُ بِغَيْرِهِمَا، سَمَّانِي بَاطِنِيًّا،
- وَإِنْ أَجَبْتُ بِتَأْوِيلٍ، سَمَّانِي أَشْعَرِيًّا،
- وَإِنْ جَحَدْتُهُمَا، سَمَّانِي مُعْتَزِلِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي السُّنَنِ مِثْلَ الْقِرَاءَةِ، سَمَّانِي شَفْعَوِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي الْقُنُوتِ سَمَّانِي حَنَفِيًّا،
- وَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ، سَمَّانِي حَنْبَلِيًّا،
- وَإِنْ ذَكَرْتُ رُجْحَانَ مَا ذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ إِذْ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ وَالْحَدِيثِ مُحَابَاةٌ قَالُوا: طَعَنَ فِي تَزْكِيَتِهِمْ.

ثُمَّ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُسَمُّونَنِي فِيمَا يَقْرَءُونَ عَلَيَّ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَسَامِي، وَمَهْمَا وَافَقْتُ بَعْضَهُمْ؛ عَادَانِي غَيْرُهُ، وَإِنْ دَاهَنْتُ جَمَاعَتَهُمْ، أَسْخَطْتُ اللهَ تبارك وتعالى، وَلَنْ يُغْنُوا عَنِّي مِنَ اللهِ شَيْئًا. وَإِنِّي مُسْتَمْسِكٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(١)

---

(١) «الاعتصام للشاطبي ت الهلالي» (١/ ٣٨) وينظر: «تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي» (٣/ ٢٣٩) و«سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (١٨/ ٣٥١) و«ذيل طبقات الحنابلة - لابن رجب» (١/ ٢٨ ت الفقي)

قصة وعبرة

[٤٨] وذكر الأديب الحافظ شهاب الدين أحمد بن المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ) عن الشيخ أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (ت: ٦٨٥هـ) أنه قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «**أخذت مع والدي يومًا في اختلاف مذاهب الناس، وأنهم لا يسلمون لأحد في اختياره، فقال: متى أردت أن يسلم لك أحد في هذا التأليف - أعني المغرب - ولا تعترض أتبعت نفسك باطلاً، وطلبت غاية لا تدرك، وأنا أضرب لك مثلاً**: يحكى أن رجلاً من عقلاء الناس كان له ولد، فقال له يومًا: يا أبي، ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت في مجانبتها سلمت من نقدهم، فقال: يا بني، إنّك غرٌّ لم تجرّب الأمور، **وإن رضى الناس غايةٌ لا تدرك**، وأنا أوقفك على حقيقة ذلك، وكان عنده حمار، فقال له: اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشيًا، فبينما هما كذلك إذ قال رجل: انظر، ما أقلّ هذا الغلام بأدب، يركب ويمشي أبوه، وانظر ما أشد تخلّف والده لكونه يتركه لهذا، فقال له: انزل أركب أنا وامش أنت خلفي، فقال شخص آخر: انظر هذا الشخص، ما أقلّه بشفقة، ركب وترك ابنه يمشي، فقال له: اركب معي، فقال شخص:

أشقاهما الله تعالى، انظر كيف ركبا على الحمار، وكان في واحد منهما كفاية، فقال له: انزل بنا، وقدّماه وليس عليه راكب، فقال شخص: لا خفّف الله تعالى عنهما، انظر كيف تركا الحمار فارغًا وجعلا يمشيان خلفه، فقال: يا بني، سمعت كلامهم، وعلمت أن أحداً لا يسلم من اعتراض الناس على أي حالة كان ا.هـ»(١)

وقد أحسن من قال(٢):

ضحِكْتُ فقالوا: ألا تحتَشِمْ	بكيتُ فقالوا: ألا تبتسمْ
بسمتُ فقالوا: يرائي بها	عَبستُ فقالوا: بدا ما كَتَم
صَمَتّ فقالوا: كليل اللسان	نطقت فقالوا: كثير الكَلِمْ
حَلُمت فقالوا: صنيع الجبان	ولو كان مقتدراً لانتَقَم
بَسُلتُ فقالوا: لطيشٍ بهِ	وما كان مُجْترِئًا لو حَكُمْ
يقولون: شذّ؛ إذا قلتُ: لا	وإمّعة حين وافَقْتُهُم
فأيقنت أنّيَ مهما أُرِدْ	رِضى الناس لابدّ مِنْ أنْ أذَمّ

---

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ت إحسان عباس» (٢/ ٣٢٨)

(٢) من شعر: د. الطبيب: محمد بن ظافر الشهري وينسبه كثير من الناس إلى الشافعي رحمه الله والصواب ما تقدم.

وصايا مهمة

الوصية الأولى: الصبر

والواجب على المسلم إذا ابتلي بمن يتكلم عنه بالباطل معالجة الموقف بحكمة وصبر وتأنٍّ وتؤدة.

[٤٩] فإنه «...مَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

[٥٠] وقال النبي ﷺ للأنصار: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»(٢)

والأثرة أن يفضل عليهم غيرهم في الأموال والمناصب مع أنهم أحق من أولئك وأولى.

ولا تحسبن الصبر عجز وخور، بل هو فضيلة وإحسان، وحسنة وإيمان.

(١) متفق عليه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

ومن أحكم وأجود ما قالته العرب في ذلك[(١)]:

كُـنْ لِلْمَكَـارِهِ بِـالْعَزَاءِ مقنّعـًا[(٢)] فَلَعَـلَّ يَوْمًـا لَا تَـرَى مَـا تَكْـرَهُ

ولَرُبَّما استترَ الفتى فتنافَسَتْ[(٣)] فيـه العيـون وإنـه لممـوّه[(٤)]

ولربّمـا خـزن الكـريم لسَـانَهَ حـذرَ الجـوابِ وإنّـهُ لمفـوّه

وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الْوَقُورُ مِنَ الْأَذَى وَفُـؤَادُهُ مِـنْ حَـرِّهِ يَتَـأَوَّهُ

---

(١) وصفها بهذا الإمام أبو عمرو بن العلاء. ينظر: «مفيد العلوم ومبيد الهموم» للخوارزمي (ص٢٩١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١٢/ ٣٩٨ ط الرشد) و«تاريخ دمشق لابن عساكر» (٦٧/ ١١٧). و«شرح مقامات الحريري» للشُرَيشِي (٣/ ٢١٤) وينسب أولها لعلي بن أبي طالب ﵁ كما في «المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي» (١/ ١٦٠)

(٢) يعني يدعوه أن يتصدى للمكاره بالصبر فيتقنع لها به فهذا عزاؤه فيها وروي (مقطِّعا) وهو بمعناه. فلعل يوما ...إلخ يعني سيأتي يوم الفرج بالصبر فإن مع العسر يسرا.

(٣) تنافست: أي تحاسدت

(٤) المموه هو المزخرف. وفي «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٥٠): عَن الْكسَائي: مَوَّهْتُ الشيءَ إِذا طَلَيتَه بفضّة أَو ذَهب، وَمَا تحتَ ذَلِك حَدِيد أَو نُحاس ا.هـ والمعنى أن الشيء ليس كما يراه الحاسدون بل هو على الحقيقة دون هذا. فهو يستتر بالسكوت عن كشف حقيقته للآخرين.

الوصية الثانية:
اعمل ولا تلتفت وراءك

ولا يحملك كلام الناس على ترك العمل فإن مثَل الاستقامة على الحق مثلُ طريق مستقيم واسع، وعلى جنبيه قُطَّاع طرق ولصوص، فإن التفت إليهم طمعوا فيه وقطعوا عليه طريقه.

[٥١] وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﵁، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، وفي رواية: [فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَذْكُرْهُ لَهُ]. ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» قَالَ قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا.

قال الحافظ: وَفِي الْحَدِيثِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِ وَالصَّفْحُ عَنِ الْأَذَى

وَالتَّأَسِّي بِمَنْ مَضَى مِنَ النُّظَرَاءِ ا.هـ(١)

[٥٢] وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ ﷺ: «**وَيْحَكَ إِنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَتُعْطِي صَدَقَتَهَا؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَتَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟**»، قَالَ: نَعَمْ، فقَالَ له ﷺ: «**فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ البِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا**»(٢)

قال النووي: مَعْنَاهُ لَنْ يُنْقِصَكَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكَ شَيْئًا حَيْثُ كُنْتَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُرَادُ «**بالبِحَارِ**» هُنَا الْقُرَى؛ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْقُرَى الْبِحَارَ وَالْقَرْيَةَ الْبُحَيْرَةَ قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُرَادُ بِالْهِجْرَةِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا هَذَا الْأَعْرَابِيُّ مُلَازَمَةُ الْمَدِينَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَرْكُ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ فَخَافَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أن لا يَقْوَى لَهَا وَلَا يَقُومَ بِحُقُوقِهَا وَأَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقِبَيْهِ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ**» الَّتِي سَأَلْتَ عَنْهَا «**لَشَدِيدٌ**» وَلَكِنِ اعْمَلْ بِالْخَيْرِ فِي وَطَنِكَ وَحَيْثُ مَا كُنْتَ فَهُوَ يَنْفَعُكَ ولاينقصك اللهُ مِنْهُ شَيْئًا وَاللهُ أَعْلَمُ ا.هـ(٣)

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٥٦)

(٢) رواه البخاري (٢٦٣٣) ومسلم (١٨٦٥)

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٣/ ٩)

الوصية الثالثة:
عليك بالدعاء والصلاة

ولا تغفل أيها المسلم -وأنت تبتلى بالقيل والبهتان- عن الدعاء والتضرع إلى الله تعالى الرحيم الرحمن،

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة]

[٥٣] وفي حديث حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى» رواه أبو داود

[٥٤] وفي الصحيحين – في قصة جريج الراهب–، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ، فَدَعَتْهُ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهَا، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، ثُمَّ أَتَتْهُ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ، وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لاَ، إِلَّا مِنْ طِينٍ»

وقد علمنا النبي ﷺ أدعية في الكرب عظيمة ومنها:

[٥٥] ما في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**».

[٥٦] وفي سنن أبي داود عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» وغيرها كثير ومعلوم.

ولتعلم عظيم أثر الدعاء ونصرة العظيم الأعلى للمظلوم:

أقص عليه هاتين القصتين لصحابيين كريمين من المبشرين بالجنة

لتعلم أن الابتلاء والظلم يقع على الصالحين بل والأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم، وأن المظلوم منصور ولو بعد حين.

دعاء سعد بن أبي وقاص ﷺ على من ظلمه

ولأن تكون في هذه الدنيا مظلوما خير من أن تكون ظالما،

ودعوة المظلوم مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب.

فتأمل في قصة سعد بن أبي وقاص:

المبشر بالجنة،

وأول من رمى بسهم في سبيل الله ﷺ،

تأمل كيف تجرأ عليه، بعض العامة،

وهو أمير عليهم، وافتروا عليه بما هو منه براء،

[٥٧] كما في الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا ﷺ، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي. -وفي رواية: قَالَ عُمَرُ لِسَعْدٍ: لَقَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الصَّلاَةِ-؛ ... قَالَ: فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ

قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ(١)، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ -الراوي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه -: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

فانظر: **كيف استحلوا الكذب على صاحب رسول الله ﷺ،**

وادعوا أنه لا يحسن الصلاة،

-وما كان يصلي بهم إلا صلاة رسول الله ﷺ-.

[٥٨] وقد عجب سعد من جهلهم بالصلاة وقال -كما في صحيح مسلم-: أَتُعَلِّمُنِي الْأَعْرَابُ الصَّلَاةَ؟

قال الحافظ: وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ شَكَوْهُ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ا.هـ

قالوا: لا يسير بالسرية،

وقد فتح الله العراق على يديه. وهو الذي اختط الكوفة.

---

(١) (وعرضه بالفتن) بالموحدة، وفي نسخة: للفتن، أي اجعله عرضة لها. قاله القسطلاني في شرحه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٨٤).

وقالوا: لا يقسم بالسوية،

وهي جرأة منهم على أميرهم الذي خول إليه الشرع النظر في المصالح والاجتهاد وضمن له الأجر.

وقالوا: لا يعدل في القضية:

وهو طعن بالباطل في دينه رضي الله عنه.

ففزع سعد رضي الله عنه إلى الدعاء، وهو العبد المظلوم، وراعى في دعائه العدل والإنصاف فقال : "**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً**"، فعلق الدعاء بهذا الشرط. فاستجاب الله دعاء وليه وصاحب نبيه صلى الله عليه وسلم وبرأه الله مما قالوا.

٨٠ ◊ ٠٣

دعاء سعيد بن زيد رضي الله عنه على من ظلمه

وهذا صحابي آخر من العشرة المبشرين بالجنة، وهو سعيد بن زيد رضي الله عنه، ادعت عليه امرأة بالباطل، فأصابتها دعوة هذا الولي في العاجل.

[٥٩] ففي الصحيحين عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رضي الله عنه: أَنَّ امرأةً يقالُ لَهَا أَرْوَى بِنْت أُوَيْسٍ خَاصَمَتْهُ فِي بَعْضِ دَارِهِ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ -وهو يومئذ أمير المدينة-، وادَّعَتْ عَلَى سَعِيدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فتعجب سعيد بن زَيْدٍ من كذبها وقال: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقيل له: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»،

ثم توجه إلى الله بالدعاء فقال: **اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا**. قَالَ الراوي عن سعيد -وهو: عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب-: **" فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا "**

الله أكبر

صدق الله العظيم القائل في الحديث القدسي -عن دعوة المظلوم-:

[٦٠] «وَعِزَّتِي [وَجَلَالِي]، لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»(١)

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٦) وابن ماجه (١٧٥٢) وابن فضيل في «الدعاء» (١٢٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٩٩ ط الرشد) -ومنهما الزيادة- عن أبي هريرة ﵁. وهو في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (١٥٩٦) لشيخنا الوادعي ﵀. وله شاهد من حديث خزيمة بن ثابت رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٨٤/ ٣٧١٨) بسند لابأس به في الشواهد وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣٠).

الوصية الرابعة:
تذكر أن ما عند الله خير وأبقى
وعند الله تجتمع الخصوم

ومن أعظم التسلية للمظلوم، أن يوم القيامة هو يوم الفصل، ويوم الحساب والعدل، وعند الله تجتمع الخصوم.

ولا يلزم أن يأخذ كل مظلوم حقه، وينتصف ممن ظلمه في الدنيا، فإن من الناس من يُظلَمُ، ويبتلى، فيدخر الله ذلك له يوم القيامة. وليكون أقل لحسابه وأعظم لأجره وثوابه.

قال الحافظ شمس الدين ابن القيم رحمه الله: إنّ العبد ليشتدُّ فرحُه يوم القيامة بما له قِبَلَ النّاس من الحقوق في المال والنّفس والعرض، فالعاقل يعدُّ هذا ذُخْرًا ليوم الفقر والفاقة، ولا يُبطِله بالانتقام الذي لا يُجدِي عليه شيئًا ا.هـ(١)

[٦١] وقد قال خَبَّابٌ رضي الله عنه: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٧ ط عطاءات العلم)

أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا(١)، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، «فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ» رواه البخاري.

[٦٢] وَحُكِيَ أَنَّ أميرَ المؤمنينَ هَارونَ الرَّشِيدَ حَبَسَ أَبا الْعَتَاهِيَةِ فَكَتَبَ عَلَى حَائِطِ الْحَبْسِ:

أَمَا وَاَللهِ إنَّ الظُّلْمَ شُؤْمٌ ... وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّلُومُ
إلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْمَعَادِ إنْ الْتَقَيْنَا ... غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مَنْ الظَّلُومُ

فَأُخْبِرَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَدَعَا بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَاسْتَحَلَّهُ وَوَهَبَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَطْلَقَهُ. (٢)

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (٧/ ٦): مَعْنَاهُ لَمْ يُوَسَّعْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يُعَجَّلْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ جَزَاءِ عَمَلِهِ ا.هـ

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص١٣٨)

الوصية الخامسة:
تذكر فضل العفو والصفح

ومن المقامات العظيمة التي لا ينبغي الغفلة عنها: العفو والصفح عمن ظلمك.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ [الشورى: ٤٠]

وقال تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾ [النور: ٢٢]

[٦٣] وفي المسند عن عقبة بن عامر ﵁ أنه قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» وفي رواية له: «وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»

[٦٤] ورواه الحاكم في المستدرك ولفظه: «**يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ....**» وذكر الحديث.

والعفو: خلق الأنبياء والمرسلين،

[٦٥] قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﵁: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي

نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» متفق عليه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع من الصبر عاقبته:

- ✓ النصر والعز والسرور والأمن
- ✓ والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له
- ✓ وزيادة العلم ا.هـ

وقال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: جمع في هذه الكلمات أربعَ مقاماتٍ من الإحسان، قابَلَ بها إساءَتهم العظيمةَ إليه:

- ❍ أحدها: عفوه عنهم.
- ❍ والثاني: استغفاره لهم.
- ❍ الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.
- ❍ الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: "اغفرْ لِقَوْمِي"،

كما يقولُ الرجلُ لمن يشفعُ عندَهُ فيمن يَتَّصِلُ به: هذا ولدي، ...، فَهَبْهُ لي ا.هـ

وقال رحمه الله: ... فإنّه « **ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلّا عِزًّا**» كما صحّ ذلك عن النّبيِّ صلى الله عليه وسلم ... وفي الصّفح والعفو والحلم: من الحلاوة والطُّمأنينة

والسّكينة، وشرفِ النّفس وعزِّها ورفعتِها عن تشفِّيها بالانتقام ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام ا.هـ(١)

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٢ ط عطاءات العلم)

الوصية السادسة:
تذكر أن الجزاء من جنس العمل
فاعف يعف الله عنك

قال ابن القيم: ويسهِّل هذا -أي العفو والصفح- على النفس ويطيِّبُه لها وينعِّمها به:

أن تعلم أنَّ لك ذنوبًا بينك وبين الله تخافُ عَوَاقِبَها وترجوه أن يعفوَ عنها ويغفرَها لك ويَهَبَها لك، ومع هذا لا يقتصرُ على مجرَّد العفو والمسامحة حتى ينعمَ عليك ويكرمَكَ ويجلبَ إليك من المنافع والإحسان فوقَ ما تُؤَمِّلُه، فإذا كنت ترجو هذا من ربِّك أن يقابلَ به إساءَتك، فما أولاك وأجدرَكَ أن تعاملَ به خَلْقَهُ وتقابلَ به إساءَتَهم، ليعامِلَكَ اللهُ هذه المعاملة، فإن الجزاءَ من جنس العمل، فكما تعملُ مع الناس في إساءتهم في حقِّك يفعلُ اللهُ معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقًا، فانتقم بعد ذلك أو اعْفُ، وأَحْسِنْ أو اترُكْ، فكما تَدِين تُدانُ، وكما تفعل مع عباده يُفْعَلُ معك.

فمن تصوَّرَ هذا المعنى وشَغَلَ به فكرَهُ، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعونته ومعِيَّته الخاصَّة،

[٦٦] كما قال النبيُّ ﷺ للذي شكى إليه قرابَتَهُ وأنه يحْسِن إليهم وهم يسيئونَ إليه، فقال: «لَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١)، هذا مع ما يتعجَّلُّهُ من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلُّهم معه على خصمه، فإنَّ كل من سمع أنه يحسنُ إلى ذلك الغير وهو مُسِيءٌ إليه، وَجَدَ قلبَه ودعاءَه وهمَّتَه مع المحسن على المسيء، وذلك أمرٌ فطريٌّ فطر اللهُ عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرًا لا يعرفُهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعًا ولا خبزًا، ...إلخ(٢)

وقال شيخنا محمد بن عبد الوهاب الوصابي رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة كتابه التسامح: إن المرء في هذه الحياة الدنيا (دار الابتلاء) مهما حاول الاعتدال في تعامله مع الناس، والسلامة من أذاهم، القولي والفعلي، فلن يَسْتَتِبَّ له الأمر؛ لاختلاف معادنهم،

[٦٧] كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**النَّاسُ مَعَادِنُ، كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ...**» رواه مسلم عن أبي هريرة، فلربما وجد جفوة من صديق، أو حِدَّة في القول من جارٍ. ولو سَلِمَ من ذلك أحدٌ، لَسَلِمَ منه أصدق الناس، وأعدلهم، وأكثرهم حلمًا، وعطفًا، وشفقةً بهم، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لاقى منهم الأذى، والطرد، والرجم، حتى سال الدم من قدميه الشريفتين

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «بدائع الفوائد - ط عطاءات العلم» (٢/ ٧٧٤).

ﷺ، ومع ذلك يأتيه مَلَك الجبال، فيقول له: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فيردُّ عليه من قال الله فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، قائلاً: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها. وما ذاك إلَّا امتثالاً لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

[٦٨] وما قصة ذلكم الأعرابي منكم ببعيد، الذي لم يقتصر تعدِّيه على النبي ﷺ، بالقول فحسب، بل سبقه بالفعل، فجذبه بردائه جذبة شديدة، بَانَ أثرها على صفحة عاتق النبي ﷺ، ومع ذلك يلتفت النبي ﷺ، فيضحك له، ثم يأمر له بعطاء. متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه.

[٦٩] ولم يغضب النبي ﷺ، لنفسه قطّ، بل كان غضبه لله، وهو أشرف البشر ﷺ. ...

ولقد حضَّ الإسلام على الإصلاح بين المتخاصمين، وأجاز الكذب في ذلك؛ لما يترتب على ذلك من مصالح عامَّة، تُذهب الحقد والبغضاء، والعداوة والشحناء، وسفك الدماء، ويحلُّ مكانها الحبُّ والوئام، والسلامة والأمان، ويكون ذلك بالعفو، والتسامح، وكظم الغيظ، فيحصل الخير الكثير، والابتعاد عن الشر المستطير؛ «فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ» ا.هـ

٭٭٭

الوصية السابعة:
عليك بقبول النصيحة

وليس بالضرورة أن يكون جميع ما قاله الشانئون لك باطلا، فلربما استفاد المرء من نقدهم وتنبه لبعض ما كان عنه غافلا من أمره وعمله.

[٧٠] وقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**». قَالَ: لَا، قَالَ: «**ذاك شيطان**» رواه البخاري تعليقا ووصله النسائي.

والناقد بصير -كما قيل-، فليكن حرصُه على تتبع الزلات، وإظهار العثرات، حافزا لك على تلمس الفائدة، والعمل بالحق الذي ستتفيء من ظلاله العائدة.

وقد ذكر الحافظ شمس الدين ابن القيم رحمه الله أن من أسباب طلب كمال النفس، كلام الأعداء فقال:

«وهذا -أي طلب الكمال- قد يكون له سببٌ آخرُ:

وهو معاداةُ الناس له،

وتنقُّصهم إيَّاه،

وازدراؤُهم به،

فيحمله الانتخاء لنفسه، والغيرةُ لها، ومحبتُها:

على المنافسة في المعالي،

واكتساب الحمد،

وهذا من شرف النَّفس وعزَّتها كما قيل:

مـن كـان يشـكرُ للصَّـديق فـإنَّني أحبُـو بصـالحِ شُـكْرِي الأعـداءَ

هم صيَّروا طلب المعـالي ديدني حتَّـى وطئْـتُ بنعلـي الجـوْزاءَ

ولربمـــا انتفـــع الفتـــى بعـــدوِّه والســـمُّ أحيانًـــا يكـــونُ شـــفاءَ

وقال الآخر:

عُـداتي لهـم فضـلٌ علـيَّ ومِنَّـةٌ فلا أعـدم الـرحمنُ عنِّي الأعاديا

هـمُ بحثـوا عـن زَلَّتـي فاجتنبتُهـا وهم نافسُوني فاكتسبتُ المعاليا(١)

---

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٣٩٨ ط عطاءات العلم)

الخاتمة

وبهذا القدر أكتفي والله تعالى أعلم

[٧١] «اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»

[٧٢] « اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»،

[٧٣] «اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمِّي وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الكتاب

تم الصف والإخراج بإشراف

دار الصابرين للتنسيق والمراجعة

a44443332@gmail.com